تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له ومخبرا أن من أشرك به عذبه ثم قال تعالى آمرا لرسوله صلى ا عليه وسلّم أن ينذر عشيرته الأقربين أي الأدنين إليه وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا إيمانه بربه D وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد ا المؤمنين ومن عصاه من خلق ا كائنا من كان فليتبرأ منه ولهذا قال تعالى : { فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون } وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالى : { لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون } وقال تعالى : { لتنذر أم القرى ومن حولها } وقال تعالى : { وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم } وقال تعالى : { لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا } وقال تعالى : { لأنذركم به ومن بلغ } كما قال تعالى : { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } وفي صحيح مسلم [والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار] وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الاية الكريمة فلنذكرها : .

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد C : حدثنا عبد ا بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس Bه قال : لما أنزل ا D { وأنذر عشيرتك الأقربين } [أتى النبي صلى ا عليه وسلّم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل ا { تبت يدا أبي لهب وتب }] ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش به .

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما نزلت { وأنذر عشيرتك الأقربين } قام رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : [يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من ا شيئا سلوني من مالي ما شئتم] انفرد بإخراجه مسلم .

(الحديث الثالث) قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة Bه قال : لما نزلت هذه الاية { وأنذر عشيرتك الأقربين } دعا رسول ا صلى ا عليه وسلّم قريشا فعم وخص فقال [يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم

أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني وا لا أملك لكم من ا شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها] ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسلا ولم يذكر فيه أبا هريرة والموصول هو الصحيح وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من ا يا صفية عمة رسول ا ويا فاطمة بنت رسول ا اشتريا أنفسكما من ا فإني لا أغني عنكما من ا شيئا سلاني من مالي ما شئتما] تفرد به من هذا الوجه وتفرد به أيضا عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم بنحوه ورواه أيضا عن حسن حدثنا ابن لهيعة : عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا وقال أبو يعلى : حدثنا سويد بن سعيد حدثنا همام بن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم [يا بني قصي يا بني هاشم يا بني عبد مناف أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد] .

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا : لما نزلت { وأنذر عشيرتك الأقربين } صعد رسول ا صلى ا عليه وسلّم رضمة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي : [يا بني عبد مناف إنما أنا نذير وإنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهله يخشى أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف : يا صباحاه] ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن بن سهل النهدي عن قبيصة وزهير بن عمرو الهلالي به .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد ا الأسدي عن علي Bه قال : لما نزلت هذه الاية { وأنذر عشيرتك الأقربين } جمع النبي صلى ا عليه وسلّم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم [من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي ؟ فقال رجل لم يسمه شريك : يا رسول ا أنت كنت بحرا من يقوم بهذا قال : ثم قال الاخر ـ ثلاثا ـ قال : فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي : أنا .

(طريق أخرى بأبسط من هذا السياق) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي Bه قال : جمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم ـ أو دعا رسول ا ـ بني عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ثم دعا

بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب وقال] يابني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الاية ما رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي قال : فلم يقم إليه أحد قال : فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال : فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي [.

(طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخر) قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا محمد بن عبد ا الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثني من سمع عبد ا بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب Bه قال : لما نزلت هذه الاية على رسول ا صلى ا عليه وسلّم { وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين } قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم] عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك [قال علي Bه فدعاني فقال : يا علي إن ا تعالى قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب] ففعلت فاجتمعوا إليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول ا صلى ا عليه وسلّم جذبة فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال [كلوا بسم ا فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم وا إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ثم قال رسول ا A اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وايم ا إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول ا A أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لهدما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول ا A .

فلما كان من الغد قال رسول ا A يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول ا A كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه وايم ا إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ثم قال رسول ا A اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وايم ا إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول ا A أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال : لهدما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول ا A .

فلما كان من الغد قال رسول ا A يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من

الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول ا A كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه وايم ا إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ثم قال رسول ا A : يا بني عبد المطلب إني وا ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة] قال أحمد بن عبد الجبار : بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم عن المنهال عن عمرو عن عبد ا بن الحارث .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد ا بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب فذكر مثله وزاد بعد قوله [إني جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد أمرني ا أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا وقلت ـ وإني لأحدثهم سنا وأمرصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا : أنا يا نبي ا أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع] تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الائمة رحمهم ا .

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد ا بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد ا بن الحارث قال : قال علي Bه : لما نزلت هذه الاية { وأنذر عشيرتك الأقربين } قال لي رسول ا A [اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنا قال : ففعلت ثم قال : ادع بني هاشم قال : فدعوتهم وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال : وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها قال : فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول ا A من ذروتها ثم قال فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزرؤوا منها إلا اليسير قال : ثم أتيتهم بالإناء فشربوا حتى رووا قال : وفضل فضل فلما فرغوا أراد رسول ا A أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا ما رأينا كاليوم في السحر فسكت رسول ا A ثم قال : اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام فصنعت قال : فدعاهم فلما أكلوا وشربوا قال : فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الأولى فسكت رسول ا A ثم قال لي اصنع لي رجل شاة بصاع طعام فصنعت قال : فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول ا A الكلام فقال : أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال : وسكت أنا لسن العباس ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول ا قال : وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعمش العينين ضخم البطن خمش الساقين فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي Bه ومعنى سؤاله A لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه

دينه ويخلفوه في أهله يعني إن قتل في سبيل ا كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل فلما أنزل ا تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وا يعصمك من الناس } فعند ذلك أمن] وكان أولا يحرس حتى نزلت هذه الاية { وا يعصمك من الناس } ولم يكن أحد في بني هاشم إذ ذاك أشد إيمانا وإيقانا وتصديقا لرسول ا A من علي Bه ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول ا A ثم كان بعد هذا ـ وا أعلم ـ دعاؤه الناس جهرة على الصفا وإنذاره لبطون قريش عموما وخصوصا حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالأدنى على الأعلى أي إنما أنا نذير وا يهدي من يشاء إلى صرط مستقيم .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي ـ غير منسوب ـ من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة عن عبد الواحد الدمشقي قال : رأيت أبا الدرداء Bه يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقيل له : ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ فقال : لأني سمعت رسول ا A يقول [أزهد الناس في الدنيا الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون] وذلك فيما أنزل ا D قال تعالى : { وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون } .

وقوله تعالى : { وتوكل على العزيز الرحيم } أي في جميع أمورك فإنه مؤيدك وحافظك وناصرك ومظفرك ومعلي كلمتك وقوله تعالى : { الذي يراك حين تقوم } أي هو معتن بك كما قال تعالى : { واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا } قال ابن عباس { الذي يراك حين تقوم } يعني إلى الصلاة وقال عكرمة يرى قيامه وركوعه وسجوده وقال الحسن { الذي يراك حين تقوم } إذا صليت وحدك وقال الضحاك { الذي يراك حين تقوم } أي من فراشك أو مجلسك وقال قتادة { الذي يراك } قائما وجالسا وعلى حالاتك .

وقوله تعالى : { وتقلبك في الساجدين } قال قتادة { الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين } قال : في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري وقال مجاهد : كان رسول ا A يرى من خلفه كما يرى من أمامه ويشهد لهذا ما صح في الحديث [سووا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري] وروى البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الاية : يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبيا وقوله تعالى : { إنه هو السميع العليم } أي السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم كما قال تعالى : { وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه } الاية